هجومات 20 أوت 1955 وأبعادها

د/ محمد لحسن زغيدي
أستاذ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية
جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله

الثورة في سنة 1955:

شهدت الثورة مع مطلع سنة 1955 في أشهرها الأولى عدة هزات مست عمق الثورة، حيث استهدفت رأسها القائد والمدبر والمفكر والمفجر، وذلك باستشهاد القائد مراد ديدوش قائد المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) في 18 جانفي 1955 ببوكركر.

- وأسر القائد مصطفى بن بو العيد، قائد المنطقة الأولى (الأوراس)، بالحدود التونسية الليبية في 13 فبراير 1955.

- وأسر القائد رابح بيطاط، قائد المنطقة الرابعة (العاصمة وضواحيها) في 24 مارس 1955، ثم استشهاد نائبه سويداني بوجمعة في ظرف قصير.[1]

وبذلك فقدت الثورة ثلاثة من قادتها الخمسة الميدانيين النوفمبريين بالداخل، فلم يبق إلا 5/2، وهما القائدان كريم بلقاسم قائد المنطقة الثالثة (القبائل)، والعربي مهيدي قائد المنطقة الخامسة (الغرب الجزائري). وهو الشيء الذي أطمع المحتل في القضاء على الثورة، وشجعه في البحث عن تحقيق ذلك بكل السبيل السياسية والعسكرية والدعائية والأمنية.

فطبع سياسته في سنة 1955 على العمل بكل الوسائل، من أجل انقاذ الجزائر الفرنسية، وتحقيق رغبة الكولون بكل الأثمان، ولا مساومة على فرنسية الجزائر،

[1]- مذكرات علي كافي: ص 98.

والحيلولة دون شمولية الثورة كامل منطقة المغرب العربي، خاصة إذا ما استحكمت في القلب لن تذوب في الجارين، إلا إذا ما حققت هدفها.

ولذلك أعدت فرنسا لسنة 1955 استراتيجية شاملة في جميع المجالات، شملت قبل 20 أوت الجوانب الآتية:

- في 25 جانفي 1955، تم تعيين جاك سوستيل حاكما عاما للجزائر.
- وفي 5 فبراير، سقطت حكومة مندبس فرانس، لنحل محلها حكومة إذ غارفور.
- وفي 15 فبراير تم تثبيت جاك سوستيل في منصبه كحاكم عام للجزائر.
- وفي 3 أفريل 1955 تم التصويت على مشروع قانون حالة الطوارئ في الجزائر، من طرف المجلس الوطني الفرنسي.
- وفي 19 ماي 1955، قرر مجلس الوزراء الفرنسي، استدعاء الاحتياطيين، لإرسالهم إلى الجزائر، حيث تم استدعاء المجندين في سنتي 1953 و1952، كما تم تحديد الخدمة العسكرية بتمديدها إلى 27 شهرا.

وبذلك ارتفع عدد الجيوش الفرنسية العاملة بالجزائر، لتطبيق نظرية « الوأد في المهد »، إلى 200 ألف في جانفي 1956، خاصة بعد نجاح عمليات 20 أوت 1955 التي هي موضوع دراستنا.[2]

لقد تنبهت الثورة إلى تلك السياسة وأبعادها، وأعدت لها عدتها، واستعدت لمواجهتها. وفي هذا يقول المجاهد السيد عبد الله بن طوبال :« جاء جاك سوستيل الوالي العام الجديد، متظاهرا بأنه يحمل حلولا إصلاحية. ونحن كنا نخشى من هذه الحلول... كانت تنعقد بعض الاجتماعات في الولاية بهذه السياسة، سيكون خسارة بالنسبة لنا... وحتى نقضي على هذه المناورات في مهدها، قررنا القيام بهجوم 20 أوت. [3] كما سيأتي الكلام عنها لاحقا.

---

[2]- المصدر نفسه، ص 173.

[3]- المنظمة الوطنية للمجاهدين: حديث السيد طوبال، الطريق إلى نوفمبر ج3، ص 234.

كما أن استراتيجية الاحتلال في التركيز على المنطقة الأولى الأوراس، وعزلها عن كامل التراب الوطني بمحاصرتها، وخصها بالحشود العسكرية، والعمليات الهجومية نفسها، حيث قررت قبل اندلاعها، على أن يكون التركيز على منطقة الأوراس، بقيادة قائدها السيد بن بوالعيد، وذلك لتوفر السلاح لديها، وعدد الأفواج الأولى المدربة، التي كانت تتواجد في أرضها. وهو ما كان من الأسباب التي جعلت قائدها يتوجه إلى المشرق العربي ليبيا، لشراء السلاح، حتى لا نسقط الثورة بالمنطقة، وهو ما كان سببا في أسره كما أشرنا في البداية.

لقد كان الفرنسيون يعتبرون الأوراس قلعة وقوة كبيرة للثورة، وكان يخشى أن تنتشر منها إلى كامل القطر الجزائري، وهو ما يعرض الاحتلال وركائزه للخطر، فتضيع منه الجزائر، لأنه كان يعتقد أن مصيره، مرتبط بمصير وجوده بالجزائر. لذا ضرب على الأوراس حصارا، وطوقه بقوات كبيرة.[4]

– وفي هذا الإطار وبتلك الاستراتيجية أصبح لقوات الاحتلال الفرنسي، التحكم في الميدان عن طريق طوق الحصار المضروب على الريف والمدينة على السواء بل ملاحقة الوطنيين والتضييق على تنقلات المدنيين، لاسيما في أواسط سنة 1955.

وفي هذا المجال يقول السيد بن طوبال:« شاهدنا في شهري مارس وأفريل 1955، الجيش الفرنسي يسترجع شجاعته كاملة، وصار يخرج للبوادي والمشاتي والقرى، وأحيانا يخرج ليلا، فتحتم علينا آن ذاك أن نختفي... وتعرضت الثورة بذلك إلى خطر كبير ».[5]

وقبل الحديث عن عمليات 20 أوت 1955، وكيف أجهضت المخططات الفرنسية، وانقذت الثورة، ووضعتها في مسارها المحدد، في بيان أول نوفمبر 1954. لا بد من الحديث عن مهندس هذه العمليات وقائدها السيد زيغود يوسف، وعن فكره وثقافته الثورية، وحنكته القيادية.

---

[4]- المصدر نفسه، ص 231.

[5]- المصدر نفسه، ص

- ولد في 18 فبراير 1921 بقرية السمندو (سابقا). (زيغود يوسف حاليا)
- توفى أبوه مبكرا وتكفلت به أمه.
- درس في الإبتدائية الفرنسية، وتحصل على شهادتها، وفي نفس الوقت كان يدرس في المدارس القرآنية.
- انخراط في حزب الشعب وكان عمره 17 سنة.
- أصبح مسؤولا عن الحزب في قريته سنة 1937.
- كان ذا أخلاق سامية وتدينا عالبا، ووطنية غيورة.
- ترشح بإسم الحزب (حركة الانتصار الحريات الديمقراطية) في انتخابات سنة 1947، وفاز بها فوزا ساحقا.
- أشرف على تنظيم المنظمة الخاصة سنة 1948 بالمنطقة.
- وإثر اكتشاف المنظمة سنة 1950 سجن بعنابة، وخطط للفرار، بصنعه مفتاح، انطلاقا من خبرته في المهنة، ونجح مع رفاقه، من قبضة المحتل.
- عاد إلى مسقط رأسه ليواصل العمل السري، وبعد انقسام الحزب (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) سنة 1953، شرع في تجسيد فكرة الثورة، والإعداد لها مع رفاقه من المنظمة السرية (O.S).
- ومع مطلع نوفمبر برز مع ديدوش مراد في تنظيم صفوف الثورة.
- شارك في معركة بوكركر في 18 جانفي سنة 1955، وتولى القيادة بعد استشهاد قائد المنطقة السيد ديدوش مراد[6]، فشرع في تطوير أساليب الثورة ومواجهة الوضع الجديد، الذي أشرنا إليه سالفا.

لقد كان زيغود حسب كل من عرفه وتقرب منه، يشهد له بالحنكة والحكمة والبصيرة وتقدير الأمور، حيث كانت أفكاره تنم عن استراتيجية عميقة ودقيقة، وكان يعرف أن الانتصار ليس بالسهولة التي يفكر بها الآخرون.[7]

[6]- المنظمة الوطنية للمجاهدين: من شهداء ثورة التحرير، ص 49.
[7]- صالح بوجمعة: جريدة الفجر 23/ 2012/9.

وكانت استراتيجيته في قيادة الثورة بالمنطقة، مبنية على كيفية انتقال الثورة من الثورة الطليعة، إلى الثورة الجماهيرية، وذلك لينتقل بها إلى مرحلة ثورية جديدة[8] تكون أصيلة في المبدأ، نابعة من مبادئ الثورة وأهدافها المعلنة، ومسايرة لما تتطلبه الثورة الشعبية الشاملة، تتحدى التضحيات وتحقق الغايات.

وانطلاقا من ذلك، جاءت هجومات 20 أوت 1955 في توقيتها الزمني، مع حلول الشهر العاشر لاندلاع الثورة التحريرية (في أول نوفمبر 1954)، لتعطيه تجديدا عسكريا، ودفعا سياسيا، وتعميقا شعبيا، وواقعا دوليا، وصدى إعلاميا. حيث جسدت مبادئ وأهداف نص عليها بيان أول نوفمبر في ندائه إلى الشعب عامة، والمناضلين من أجل القضية الوطنية خاصة، لا سيما في الجوانب التي تجسدت في هجومات 20 أوت في المبدان العملياتي والأهداف التي نجمت عنه، والتي جاءت في النص على الشكل الآتي:

- جاء في الأهداف الداخلية: في النقطة الثانية:« تجميع وتنظيم جميع الطاقات السلمية لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري. »

- ونص في الأهداف الخارجية: في النقطة الأولى : « تدويل القضية الجزائري »

أما في صلب النص فمن ضمن المسائل التي حددها وتنطبق على موضوعنا، نذكر:

-«مواصلة الكفاح بجميع الوسائل. »

-« نتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية » .

-« لدفعها إلى المعركة الحقيقة الثورية إلى جانب إخوانا المغاربة والتونسيين »

-« انقاض بلدنا والعمل على أن نسترجع له حريته » .

[8]- : من شهداء ثورة التحرير: المصدر السابعة، ص 50.

-« جعل القضية الجزائرية حقيقة واقعية في العالم كله » [9]

وتطبيقا لتلك المبادئ قرر زيغود الشروع في التخطيط لعمليات الـ 20 أوت، كما كان التحضير لها استجابة لمراسلة قائد المنطقة الأولى بالنيابة السيد شيهاني بشير، والتي يقول عنها السيد بن طوبال: راسلنا شيهاني، يستنجد قائلا: نحن في خطر، ويجب على الولايات (المناطق)، وبذلك تستطيع الولاية (المنطقة) الأولى، أن تتنفس قليلا، وتستطيع بعد ذلك مواصلة المقاومة. وكانت المراسلة في شهر ماي 1995 » .[10]

أراد القائد زيغود قبل الشروع في تجسيد استراتيجيته الكبرى، جس النبض بالقيام بعمليات محدودة، لاختيار أفراده ومدى مواجهة العدو لها، وفي هذا الصدد يقول السيد بن طوبال:« قررنا القيام بعمليات: كنا نظن أنها تكفي لفك الحصار على الأوراس، قمنا بها في: الأوراس وسكيكدة... اقتصرت على المزارع وعلى تهديم الجسور والطرقات وضد الخونة، وعلى بعض المراكز البوليسية، ومناوشة المراكز العسكرية... نصبنا بعض الكمائن... لم تكن لدينا القوات لمجابهة الجيش الفرنسي، والدخول معه في معركة... كانت القوة المتوفرة لدينا ضعيفة » [11] .

الأهداف المسطرة للهجوم:

بعد تلك المحاولات التي لم تصل إلى ما كان يصبو إليه زيغود في فك الحصار، وتشتيت القوات الفرنسية ليتم التخفيف على منطقة الأوراس.

لذلك بدأ العمل في التحضير الجاد، والتخطيط لأهداف بعيدة وعميقة تستجيب لتطلعات وروح ما نص عليه بيان أول نوفمبر فيما أشرنا إليه أعلاه. وانطلاقا من ذلك تم تسطير عدة أهداف على مختلف المستويات: المحلية والوطنية والإقليمية والدولية.

---

[9]- بيان أول نوفمبر 1954.
[10]- الطريقة إلى نوفمبر: المصدر السابق، ص 232.
[11]- المصدر نفسه، 232. وينظر: مذكرات علي كافي: مصدر سابق، ص 100 و101.

وفي هذا المجال استعرض ما جاء على لسان نائب قائد المنطقة الثانية السيد عبد الله بن طوبال، حيث يقول: من الأهداف المحلية« أننا كنا نقصد تدعيم الولاية الثانية وتقويتها، حتى تتمكن من مجابهة الاحتلال »

أما بالنسبة للأهداف الوطنية فيقول:

1. فك الحصار على الولاية الأولى التي كانت عرضة للموت.
2. توجيه رسائل إلى كل الولايات الجزائرية، لأنه لم يكن بيننا آن ذاك، وبين بقية الولايات أي اتصال، وكذلك مع إخواننا بالخارج، والعلاقة الوحيدة التي كانت بيننا هي الجرائد الفرنسية.
3. التفكير في عمل مثير من شانه أن يجعل الجرائد الفرنسية تتكلم عنا، وبذلك يعرف بقية إخواننا أن الولاية الثانية لم تمت، وأن الثورة بها ما زالت مستمرة، وتكون نتيجة ذلك أن يبادروا إلى مساعدتنا وتصير العمليات على مستوى الجزائر » .[12]

أما بالنسبة للأهداف الإقليمية على مستوى المغرب العربي، خاصة المملكة المغربية الشقيقة، يقول السيد بن طوبال:

« لم ننس مسألة توحيد المغرب العربي، أي لم نكن نفكر في أنفسنا فقط، ولا في تحرير الجزائر وحدها...

كانت الجرائد تخبرنا بما كان يتعرض له الشعب المغربي الشقيق، من عمليات قمع في وادي زم. وعن المعارك التي كان يخوضها جيش التحرير المغربي ضد السلطة الفرنسية... كنا نخاف على المقاومة بالمغرب، أن يشتد عليها الحصار وتفشل... وسيكون ذلك نصرا للاستعمار »

وتثمينا لهذا المسعى وإيمانا بمبدأ وحدة المغرب العربي عملا لا شعارا رأى قادة المنطقة الثانية أن يكون ذلك في ميدان المعركة مع العدو المشترك، وتواصلا مع الاستمرارية التاريخية، للتضحية في سبيل الوحدة المغاربية، والتي برهن عليها من قبل القائد الشيخ بوعمامة في أقصى الغرب، بعرقلة احتلال تونس في 1882،

[12]- المصدر نفسه، ص 232- 233.

بتنشيط عملياته العسكرية التي أعاقت جنود الاحتلال عن اللحاق بتونس من وهران، هي نفسها تعاد في 1955، لكن من أقصى الشرق لنصرة المغرب الشقيق، من طرف القائد زيغود يوسف بالهجومات عن 20 أوت 1955، وهو ما يعكس اختيار تاريخ الهجوم الذي يقول عنه السيد بن طوبال:

« الذكرى الثانية لنفي الملك (محمد الخامس)، الذي كان الاحتلال قد عزله، ونفاه إلى جزيرة مدغشقر في 20 أوت 1953، وهذا كان سبب اختيارنا لهذا الهجوم، واختيارنا له، وإعطائه الصبغة الرسمية من قبلنا، لكي نبرهن عن تضامننا على مستوى المغرب العربي، وحتى نثبت أن كفاحنا لم يكن مقتصرا على تحرير الجزائر وحده » .[13]

وأما بالنسبة للأبعاد الدولية التي خططت لهذا الهجوم، كي يضفي عليها شرعية التدويل والاحترام والتقدير، التي يجب أن تحتلها الثورة الجزائرية، لدى المجموعة الدولية الشقيقة والصديقة، لاسيما في المحافل والهيئات الدولية الإقليمية والأممية، يقول عنها السيد بن طوبال:

« لفت انتباه الرأي العام العالمي والهيئات الدولية لقضيتنا... » خاصة « أنه انعقد بباندونج بأندونيسيا مؤتمر باندونج، وقرر أن يطالب بحق الجزائر في تقرير المصير، وقررت الدول المشاركة فيه بأن يطالب بتسجيل القضية الجزائرية، في جدول أعمال منظمة الأمم المتحدة في شهر سبتمبر 1955.. »

« ففكرنا بأن ما سنقوم به في الداخل من هجومات على قوات الاحتلال، وضرب قواعده، سيكون سندا كبيرا لممثلينا في الخارج»

« وكنا في ذلك الوقت في أمس الحاجة إلى أي نوع من المساندة، ولو كانت أدبية من الدول الأجنبية، ولهذا قررنا القيام بهجوم 20 أوت 1955. كعملية تتم على مستوى الولاية الثانية بأسرها.» [14]

---

[13]- المصدر نفسه وكذلك مذكرات على كافيك مصدر سابق، ص 109.

[14]- المصدر نفسه.

استراتيجية العمليات:

انطلاقا مما تقدم وضعت قيادة الشمال القسنطيني، خطة عمليات على النحو الآتي: يقول عنها السيد بن طوبال: «

- تتم على مستوى الولاية الثانية بأسرها.
- تضع الولاية وزنها كله في هذه العملية: كل طاقاتها، كل أسلحتها التي تملكها كل الجيش، بما فيه الإطارات: من زيغود إلى الجندي البسيط.
- وأن يكون في الساعة 12 نهارا، وبكامل مدن الشمال القسنطيني.
- وأن الشعب ينبغي أن يشارك في المعركة معنا.
- الشعب نفسه يأخذ مصير المعركة بنفسه، ويسير معه جيش التحرير كطليعته» [15]

ويتم ذلك وفقا للخطة الزمنية المرسومة لثلاثة أيام: الـ 20 و21 و22 على النحو الآتي: يقول السيد بن طوبال:«

- يوم 20 أوت الهجوم على المدن بواسطة الشعب والجيش.
- يوم 21 أوت هو يوم نصب الكمائن في كل الطرقات، لكي نضرب العدو، ولحماية مراكزنا، لأننا كنا نعرف بأن العدو سيجلب قوات كبيرة يحمي بها المدن، ويدعم بها مراكزه العسكرية، وكذلك للحصول على الأسلحة من قوات العدو.
- يوم 22 أوت: هو تنفيذ أحكام الإعدام على الخونة وخاصة في المدن » .[16]

أما بالنسبة للسلاح الذي اعتمد للهجومات، هو ما توفر لدى جيش التحرير بالمنطقة والشعب، حيث قامت قيادة المنطقة بعملية استباقية في جمع السلاح من الشعب، بعدما تم وضع قائمة، شملت كل من له قطعة سلاح في تراب المنطقة

---

[15]- المصدر نفسه، ص 233.
[16]- المصدر نفسه، ص 234.
4- مذكرات علي كافي: المصدر السابق، ص 104.

بأسرها، وشكلت لذلك لجان على مستوى كل تجمع سكاني ريفي، أو مدني، وقد مكنها ذلك من جمع كمية كبيرة من أسلحة الصيد، وتم خزنها في أماكن آمنة لا تصلها أيادي المحتل.[17]

لقد كانت الأسلحة المحضرة للهجومات، أغلبها بدائية مثل: العصي، والفؤوس، والمداري، وقطع الحديد، والخناجر، والمتفجرات التي تم صنعها محليا إضافة إلى بنادق[18] الصيد والأسلحة القليلة الحربية، التي كانت لدى جنود جيش التحرير الوطني.

اتخاذ القرار:

بعد جمع كل الترتيبات والإمكانيات المتاحة، وحصر كل الأسباب والأهداف المرجوة من هذه العمليات، بقي القرار الحاسم لها.

وفي هذا أراد القائد زيغود أن يعطي لهذا المعني مدلوله الثوري، وبعده الذي قرره ببيان أول نوفمبر في جماعية الرأي وإجماعية القرار، وهو المبدأ الذي سنته الثورة وفرضته على نفسها، ليكون هو نهجها في مسارها واتخاذ كبرى قراراتها.

وحول تجسيد هذا المبدأ الديمقراطي المبني على الشورى والمشاورة والتشاور، يقول السيد بن طوبال: جمع زيغود مسؤولي الولاية الثانية للتفكير في الطريقة الخارقة للعادة، التي لم يسبق أن قمنا بها في الثورة، والتي بواسطتها نستطيع فك الحصار ليس على الولاية الأولى فقط، وإنما علينا نحن كذلك.[19]

لقد دامت المشاورات حوالي 90 يوما، مست كل مسؤولي النواحي والأقسام ومساعديهم، بحيث أنها توسعت إلى كل إطارات المنطقة من القسم إلى المنطقة، كما واكبتها حملة تحسيسية في وسط المناضلين والشعب على السواء، وهو الشيء الذي مكن العمليات من المشاركة الواسعة لكل شرائح الشعب، وهو تنفيذ لما نص عليه بيان أول نوفمبر 1954، والهدف المرسوم في نقل الثورة من النخبوية الطلائعية على الشعبية الجماهيرية.

---

[18]- الطريق إلى نوفمبر: ج2، ص 18.

[19]الطريق إلى نوفمبر: ج3، مصدر سابق، ص 232.

أدى ذلك التحضير الجيد المتكامل، على جعل الكل يتحمل مسؤولية العمل، وهو ما تم في الميدان حيث كانت الهجومات كما أريد لها وخطط لتنفيذها، وسارت كما أعدلها، وأفضت إلى نتائج مست أبعادها كل التوقعات وحققت كل الأهداف المتوخاة، جغرافيا وبشريا ودوليا، كما تبينه النتائج المحققة في الميدان.[20]

نتائج هجومات 20 أوت:

لقد حققت هجومات 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني نتائج هامة، مست كل متطلبات الثورة على أرض الواقع في جميع النواحي، وبينت أن الإرادة مع الوحدة هي مفتاح النجاح، وفي هذا يقول السيد بن طوبال: الأهداف التي حققناها، كانت قد شجعتنا وأدخلت البهجة على نفوسنا من الناحية الاستراتيجية.

- لقد تحررت منطقة كاملة.
- وأصبح لنا 16 ساعة من الـــ 24 ساعة.
- لم يعد العدو يستطيع الخروج إلى الجبال بعد الساعة الرابعة مساء حتى مطلع الشمس.
- وصار المسؤولون يتنقلون في النهار وكذلك وحدات جيش التحرير .
- كنا ننتقل بالقرب من المراكز الفرنسية ولا يجرؤون على ضربنا.
- لقد استعاد جنود جيش التحرير شجاعتهم.
- وتشجع الشعب، وأقبل ينخرط في صفوف الثورة بشكل لم يسبق له مثيل.
- بلغت مساندة الشعب للثورة 100 %.
- تم فك الحصار على الولاية الأولى.
- وصول الأسلحة إلى الناحية الغربية (أي للمنطقة الخامسة)، وبداية العمليات بها في شهر أكتوبر.

[20]- ينظر مذكرات علي كافي: المصدر السابق، ص 105 – 108 و110.

- وقعت هجومات كثيرة في الولايتين: الرابعة والثالثة.
- زادت ثقتنا بأنفسنا وشعبنا وارتفعت معنوياتنا. » [21]

الموقف الفرنسي من الهجوم:

أدت تلك الاستراتيجية المحكمة التي أعدت للهجومات، وكيفية تنفيذها، والجغرافية التي شملتها، والجماهير الشعبية التي جندتها. وكانت في مقدمة المشاركين فيها، والتوقيت المناسب الذي تمت فيه، خاصة تمركزها بالشريط الساحلي الشرقي، المكتض بالمصطافين من الكولون وأعوانهم، إلى إحداث زلزالا في الأوساط الفرنسية، العسكرية والسياسية والإعلامية. مما حدى بها إلى الاسراع للنجدة والانتقام، وجعل كل جزائري عدو، لا بد من محاربته، فتوجهت الإدارة الفرنسية العسكرية والمدنية نحو المدنيين، والتي يقول عنها السيد بن طوبال:« كانت خسائرنا كبيرة من الناحية البشرية، قام الاحتلال بعمليات قمع ضد المدنيين نساء ورجال وأطفال. »[22]

ويقول عنها السيد علي كافي، عضو قيادة المنطقة الثانية:« اهتزت إدارة العدو، وانقلب الميزان، وسادت الفوضى بين الكولون وجنود الاحتلال. وأكثر من الماضي، تكالبت قوات العدو من عسكريين وكولون على الشعب، فارتكبت مجزرة بسكيكدة، لا مثيل لها إلا مجزيرة 8 ماي 1945. واغتيل كل عربي أينما وجد، وأحرقت المداشر، وهدمت القرى، وجمع الآلاف من الشباب في ملعب سكيكدة وحصدت أرواحهم حصدا...

وكان الرقم حوالي 12 ألف شهيدا، أغلبيتهم الساحقة من الجماهير العزل، جلهم في مدينة سكيكدة، ثم عين عبيد والخروب وغيرها من القرى والمدن » [23]

لقد أحدثت هجومات 20 أوت انقلابا في عقلية جاك سوستيل الحاكم العام، فقد انقلب من اليسار إلى أقصى اليمين، وأعاد النظر في سياسته بأكملها.[24]

---

[21]- المصدر نفسه، ص 234- 235

[22]- المصدر نفسه، ص 234.

[23]- مذكرات علي كافي: المصدر السابق، ص 110- 111.

[24]- الطريق إلى نوفمبر المصدر السابق، ص 235.

وفي اطار السياسة الجديدة القاضية بخنق الثورة، وعزل الشعب عنها ومراقبته، قرر سوستيل في 25 سبتمبر 1955 إنشاء الفصائل الإدارية المتخصصة (SAS)، كما كان معمولا به بالمغرب، لفصل الشعب عن الثورة، وقد وصلت إلى (160 مركزا) في مطلع سنة 1956[25].

وقد أجمعت التقارير الفرنسية، التي أجرتها مصالحها حول هجومات 20 أوت، أن الوضع خطير بالجهة الشرقية الجزائرية حيث جاء فيها أنه: إبتداء من 15 فبراير 1956 ، طبعت الوضع الخصائص الآتية:

1.التعزيز والتنظيم الجيد للعصابات المسلحة.

2.تهديم كل ما يرمز إلى الوجود الكولونيالي.

3.تركيز التهديد بشكل أساسي على المراكز الحضارية.

4.تكثيف الضغط الممارس من طرف الثوار، في المجالين السياسي والبسيكولوجي.

5.خيانة العديد من المنتخبين، والقياد للإدارة الفرنسية.

6.ارتفاع نسبة الفرار من الجيش الفرنسي، والالتحاق بصفوف الثورة، فمن ديسمبر 1955 إلى جانفي 1956 سجلت نحو 30 حالة فرار.[26]

ولتمتين القبضة الحديدية، وخوفا من استفحال ما تقدم عرضه من التقارير المقدمة، تمت في شهر مارس 1956، المصادقة على قانون السلطات الخاصة، خاصة في مادته الخامسة التي تنص عل 9« تملك الحكومة في الجزائر السلطات المطلقة من أجل اتخاذ كل التدابير الاستثنائية التي تقتضيها الظروف قصد فرض النظام والمحافظة على الأشخاص والممتلكات وحماية الإقليم. »[27]

ويمكن إجمال السياسة الفرنسية اتجاه الثورة الجزائرية في النصف الأول لسنة 1956 فيما يأتي:

---

[25]- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954: استراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية، ص 173.

[26]- نفسه، ص 250.

[27]- نفسه، ص 185.

1) في شهر جانفي 1956: أ- سقوط حكومة إدغارفور، لفشلها في إيجاد حل للجزائر الفرنسية.

ب- وصول حكومة غي موللييي الاشتراكي، وهي الثالثة بعد: منديس فرانس وادغارفور، منذ تفجير الثورة في أول نوفمبر 1954.

2) في 6 فبراير 1956: تم تعيين روبير لاكوست وزيرا مقيما بالجزائر، لما يعرف عنه من مقدرة ميدانية، وقد أعلن عن سياسته بالجزائر والتي ترتكز على:

أ- الحل العسكري الشامل.

ب- تعميم الحرب لتشمل اعتقال المدنيين.

3) قيام لاكوست بتوحيد القيادة العسكرية البرية والجوية، تحت قيادة واحدة، وذلك من أجل حسم المعركة الميدانية، ولأجل ذلك صدر مرسوم بالجريدة الرسمية في عددها (17 الصادر في مارس 1956) جاء فيه: إن كاتب الدولة للقوات البزية(ماكس لوجون) تلقى انتدابا من وزير الدفاع، ليضع التنسيق بين الجيوش الثلاثة التي تقوم بالعمليات العسكرية في الجزائر لحفظ الأمن.

4) وفي 28 أفريل 1956، بدأ لاكوست في تطبيق برنامجه (العمليات الكبرى).

5) وفي 15 ماي 1956 بدأت العمليات بالمنطقة الثالثة (القبائل) ، بقوات قوامها 30 ألف عسكري و20 طائرة بقيادة الجنرال (ديفور).

6) أما بالنسبة لارتفاع عدد القوات الفرنسية العاملة بالجزائر فقد شهدت سنة 1956 ارتفاعا ملحوظا، خاصة في السلاح الجوي، بعد الانتصارات التي حققتها الثورة في هجومات 20 أوت 1955، حيث نلاحظ ان القوات البرية قفزت من 100 ألف في مارس 1956 إلى 373 ألف في أول جوان 1956.

أما القوات الجوية فقد وصل تعدادها إلى 55 ألف فرد في 13 أفريل 1956، وبلغت معداتها الجوية 750 طائرة بـــ 1500 عملية في الشهر بمعدل 50 طلعة في اليوم.

تقييم الثورة لهجومات 20 أوت:

كان لا بد على المنطقة الثانية بعد نهاية الهجومات، وتنفيذ الاستراتيجية المعدة لها، وما تم أثناءها وما بعدها، أن تجتمع لتقييم العمليات وتحديد النتائج، والنظر فيما تم تحقيقه، والاستعداد لما هو آت على بصيرة، ووفق استراتيجية معدة ومبنية على ما تم إنجازه وملاحظته، انطلاق من واقع المعركة على جميع الأصعدة.

انطلاقا من ذلك دعا القائد زيغود يوسف إلى عقد مؤتمر محلى في أول نوفمبر 1955 المصادف للذكرى الأولى لاندلاع الثورة، وذلك (بدوار بني صبيح)، على أن يحضره كل من شارك في التحضير للعمليات من قبل.

حضر المؤتمر حوالي 400 مجاهد من مسؤولين وجنود: وكان موضوع اللقاء هو تقييم المسار الذي قطعته الثورة منذ اندلاعها، والخطوات التي قطعتها خلال سنة. وأما أهم نقطة في ذلك هي هجومات 20 أوت وما تم فيها وبعدها، وهل حققت أهدافها.

وقد تناول جدول أعمال اللقاء النقاط الآتية:

- التقارير: السياسية والمالية والنظامية، وعدد المجاهدين والمسبلين، والمراكز والأسلحة والذخيرة والتموين.

أما بالنسبة لقوات الاحتلال، تناول: وضعية قوات العدو، عددها، تمركزاتها في جميع النواحي، والأساليب التي تستعملها في كل ناحية، ومعاملاتها للشعب في المدن والقرى والمداشر.[28]

وبعد عرض كل ذلك ومناقشته، اتخذت قرارات تنظيمية، وفي ما تتطلبه المرحلة الجديدة، أي ما بعد 20 أوت، لأن الحديث أصبح يعبر بـــ ما بعد 20 أوت وما قبل 20 أوت، وكذلك من الناحية الاستراتيجية فيما يتعلق بالخطة المستقبلية للثورة بالنسبة للمنطقة، على ضوء المعطيات الجديدة، وكذلك بالنسبة للثورة بصفة عامة، لأن المسؤولية أصبحت ثقيلة على المنطقة الثانية، وقائدها زيغود يوسف

[28]- علي كافي: المصدر السابق، ص 111.

فيما يتعلق بمستقبل المنطقة والثورة، أي أن العمليات قد نجحت وحققت كل التوقعات، فماذا بعد؟ [29]

وقد تمحورت القرارات حول النقاط الآتية:

- تعزيز صفوف جيش التحرير وإعطاء الفرصة لكل مخلص شريف.
- القيام بحملة واسعة للشرح والتوعية والإقناع.
- التعامل بحزم وصرامة في تطهير صفوف الثورة، وعدم التسامح مع الأخطاء التي تهدد مصلحة الثورة.
- إعادة تقسيم المنطقة على ضوء ما تم خلال السنة.
- تسمية المسؤولين وتحديد الصلاحيات.
- تغيير أسلوب العمل طبقا للمعطيات الموضوعية الجديدة.
- ايفاد ممثل عن المنطقة الثانية لمعاينة الوضعية داخل المنطقة الأولى(الأوراس).
- ضرورة مواصلة الاتصال بباقي المناطق من أجل تقييم شامل وتحديد استراتيجية عامة وقيادة موحدة وإيجاد حل لقضية السلاح.
- تم انشاء المجالس الشعبية للدواوير تتكفل بالمال والتموين والأخبار والأمن. [30]

ذلك ما رآه زيغود وإطارات المنطقة الثانية استخلاصا من نتائج 20 أوت، حيث أحس زيغود بالأعباء الجديدة كما أشرنا سالفا، والتي رأى أنه لا بد من معالجتها في الآجال القريبة، خاصة من ناحية إعادة قوتها، والتنسيق الكامل بين قياداتها. وهو الأمر الذي يستدعي عقد مؤتمر وطني لقادة الثورة، لحل كل تلك الانشغالات. [31]

ذلك الانشغال الذي أشرنا إليه، أصبح عملا ميدانيا، ومحل مشاورات بين قيادة جبهة التحرير الوطني بالمنطقة الرابعة بالعاصمة والمناطق الأخرى وفي

[29]- حوار خاص مع السيد صالح بوجمعة إطار بالولاية الثانية واحد رفاق القائد زيغود.
[30]- علي كافي: المصدر السابق، ص 120-121..
[31]- صالح بوجمعة: جريدة الفجر- 23 سبتمبر 2012، ص 18.

مقدمتها المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني)، تكريما لما قام به في 20 أوت، فقد تم في نوفمبر 1955 الذكرى الأولى لاندلاع الثورة، ايفاد السيد عمارة رشيد، مبعوثا من السيد عبان رمضان إلى الشمال القسنطيني، وبعد اللقاءات مع قيادة المنطقة حمله زيغود تقريرا مفصلا، عما تم تحقيقه بالمنطقة، واقترح عليه ضرورة عقد مؤتمر وطني، كما أرسل عبان مبعوثا آخر إلى المنطقة، هو السيد سعد دحلب، الذي مكث طويلا بالمنطقة ورفع تقريرا إلى العاصمة. وعلى ضوئه أرسلت رسالة الموافقة على المؤتمر بالمنطقة الثانية التي شرعت في تحضيره في مكان المشروحة، لتمكين الكل من الحضور، ثم لدواعي استراتيجية وأمنية غير مكانه إلى بوزعرور بضواحي القل، وبدأت عمليات توفير شروط النجاح.[32] لكن تم تغيير المكان لأسباب هدفها تمكين الجميع من الحضور يتوسط مناطق الثورة، فكانت الأخضرية وعنها تم تغييره إلى إيفري بوادي الصومام بالمنطقة الثالثة والتي تم فيها في 20 أوت 1956، إعترافا لـــ 20 أوت 1955 وما قدمته للثورة وبها وصلت إلى تاريخ عقد المؤتمر الأول.

الأبعاد الدولية لهجومات 20 أوت:

حققت هجومات 20 أوت 1955، عدة نتائج هامة في المجال الدولي، وأعطت الصبغة الدولية للثورة، واكسبها التأييد والمساندة والدعم الدبلوماسي، بعد الذي حققه في أفريل 1955 مؤتمر باندونج.

للحديث عن هذا المجال نقسمه إلى جانبين: إقليمي، ودولي:

أ- **في المجال الإقليمي:** على مستوى المغرب العربي، كان اختيار الـــ 20 أوت ، تاريخا للهجومات، نابعا من الثقافة النضالية، التي تربى عليها جيل نوفمبر الوريث لثقافة نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، أي تربية ثورية شمولية، وحدوية، تؤمن بالتحرير الشامل للمنطقة كاملة، تربت في كنفها منذ 1926 إلى 1954، حيث عكس ذلك الطموح

[32]- علي كافي: المصدر السابق، ص 124.

المشروع، والتطلع الموروث بيان أول نوفمبر في 8 نقاط خصها لهذا الجانب، وما أولته له الثورة التحرير ونظرتها له المستقبلية.[33]

كما كان 20 أوت تكاملا وتواصلا تاريخيا في العمل من أجل الوحدة، حيث سبق الشيخ بوعمامة القيام بعدة عمليات عسكرية، كان من شأنها عرقلة عملية احتلال تونس والحيلولة دون انتقال فرقا عسكرية من الأراضي الجزائرية في اتجاه تونس سنة 1882[34]. حيث عمل بوعمامة من أقصى الغرب الجزائري لعرقلة احتلال تونس، وجاء من بعده زيغود يوسف من الشمال القسنطيني بأقصى، الشرق الجزائري، لخوض هجومات مساندة للثورة بالمغرب في وادي زم بمناسبة الذكرى الثانية لخلع الملك محمد الخامس عن عرشه بالمغرب.

وبالإضافة إلى ذلك عملت 20 أوت، على تخفيف الضغط على الشقيقتين الجارتين تونس والمغرب، بسحب العديد من القوات الفرنسية منهما، وتمركزها بالجزائر، لتطبيق سياسة الواد في المهد، والحفاظ على العهد، أي اسمرارية الجزائر الفرنسية.

كما عجلت تلك الهجومات في الإسراع في المفاوضات الفرنسية المغربية والتونسية التي انطلقت منذ سنة 1954 في عهد حكومة مانديس فرانس، لتنتهي باستقلال الدولتين في مارس 1956، لتتفرغ نهائيا للجزائر.

ب- في المجال الدولي: على إثر نجاح هجومات 20 أوت، طالبت 15 دولة من منظمة باندونج في 20 سبتمبر، بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للأمم المتحدة[35].

أما جامعة الدول العربية فقد أصدرت بلاغا تعد الشعب الجزائري بالتأييد المطلق، جاء فيه:« اتخذ مجلس جامعة الدول العربية في اجتماعه المنعقد يوم 29 مارس 1956 بالقاهرة بالإجماع القرار الآتي:

---

[33]- زغيدي محمد لحسن: بيان أول نوفمبر وأبعاده- مجلة الدراسات التاريخية جامعة الجزائر 2، 2012

[34]- مجموعة وثائق من مركز دراسات الحركة الوطنية التونسية منوبة تونس.

[35]- علي كافي: المصدر السابق، ص 116.

« لقد قررت جامعة الدول العربية أن تؤيد تأييدا كاملا وبدون تحفظ الشعب الجزائري في كفاحه من أجل استرجاع الاستقلال »

وستقدم جميع البلدان العربية الأعضاء مساندتها للشعب الجزائري الأعزل الضعيف، بجميع الوسائل التي في إمكانها، لمواجهة حرب قاسية شنت عليه بدون أي مبرر » [36]

أما البعد الإعلامي:

تناولت الصحف الدولية هجومات 20 اوت 1955 بصفتها بعثا للثورة الجزائرية، وأخرى اعتبرتها ثورة جديدة، وأخرى عبرت على أنها انتفاضة الشعب من أجل الحفاظ على ثورته، وأخرى تساءلت عن التصريحات الفرنسية من مسؤولين كبار عسكريين وسياسيين تبلغ بإنهاء الثورة والقضاء عليها نهائيا، وتصريحات توصفها بأنها من خارج الجزائر لم تجد لها صدى داخل الجزائر.

وأخرى تناولت الحديث عن الانتقام الفرنسي من الجزائريين، وتحدثت عن الحرب ضد المدنيين والإعدامات التي شملت الآلاف من الجزائريين.

فكانت من المغرب العربي مثل : الصباح التونسية، والعمل، ومن المغرب جريدة السعادة والعلم لحزب الاستقلال، والأهرام المصرية، وجرائد فرنسية مثل لوموند ولوفيقارو، ولوبسيرفتوار، وليكودالجي ولاديبيش دي قسنطينة وليكودورون – والكنار أنشيني. وجرائد إطالية وامريكية وغيرها.

البعد الوطني السياسي لهجومات 20 أوت

أدت هجومات 20 أوت 1955 على بعث نهضة ثورية فكرية في نفسية الجزائريين عامة، والمناضلين خاصة وكأنها أعادت إلى الشعب نداء أول نوفمبر، لكن بطريقة عملية إجرائية ميدانية، وما نجم عنها من سياسة انتقامية فرنسية عدوانية اتجاه كل من هو جزائري، لاعتباره عدوا لا بدّ من محاربته فقررت قوانين الاجراءات الخاصة وعممت حالات الطوارئ وشرعت في أحداث المعتقلات والمحاكمات، ولذلك رأى الجزائريون الثورة تنهض من جديد وتكسر كل

[36] - Le Monde 31/3/1956

القيود، وتبطل كل الدعايات والافتراءات، فقرر احتضانها، والسير في ركابها، واعتناق مبادئها، والتسلح بوسيلتها فكانت 20 أوت أكبر رسالة فهمها الشعب، وتعرف من خلالها على أن الثورة هي خلاصة الوحيد وأنها في تصاعد واستمرارية وتحقيق النجاحات وتكسب في كل يوم المزيد من الشعبية . وهكذا ما أن بزغت شمس سنة 1956، حتى بادرت الشخصيات والتنظيمات والجمعيات إلى الهيكلة في إطار الثورة، والانصهار في وعائها فتهيكلت في بوتقة جبهة التحرير الوطني، لتعبر عن الفئات التي تمثلها لكن في الإطار الثوري المنصوص علمية في بيان أول نوفمبر.

- ففي جانفي 1956 أعلنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإلتحاق بالثورة.
- ثم إلتحق عباس فرحات وجماعته، وثم حل حزبه تنفيذا لمبادئ الثورة.
- التحاق أعضاء من اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية.
- التحاق شخصيات ليبرالية فرنسية وغيرها بالثورة.
- إعلان الطلبة الجزائريون إضرابا عن الطعام في جانفي 1956.
- تشكيل الاتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فبراير 1956.
- تشكيل الاتحاد العام للتجار الجزائريين في مارس 1956.
- شهدت المنطقة الخامسة عدة عمليات في 8 ماي 1956.
- اضراب الطالبة الجزائريين عن الدراسة في 19 ماي 1956.
- بداية حرب المدن في 20 جوان 1956.
- إضراب 5 جويلية 1956، الذي لقي استجابة واسعة ونجاح كبير.
- تشكيل الخلايا الثورية في غرداية ومتليلي ولمنيعة وعين صالح وتمنراست.
- وصول الأسلحة إلى منطقة الطاسيلي- تاجر وتشكيل التنظيم بها برياسة الشيخ إبراهيم آق بكدة.[37]

[37]- زغيدي محمد لحسن: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني، وكذلك شخصيات نموذجية لنفس المؤلف ومحمد جفابة مذكرات.